المحاضرة الرابعة (نظم الانتاج الصناعي)

مقدمة

عرفت المجتمعات الانسانية منذ الثلث الاخير من القرن الثامن عشر نظام المصنع الحديث كشكل متطور من اشكال التنظيم الصناعي وقد عرف في انجلترا ثم ظهر في بلجيكا ومن بعد ذلك في فرنسا والمانيا والولايات المتحدة الامريكية ثم انتشر بعد ذلك في اغلب دول العالم بدرجات مختلفة وسرعات متباينة

لم يكن هذا الشكل من اشكال التنظيم الصناعي اول ما عرفته البشرية فقد عرفت في العصور القديمة والوسطى وبداية العصر الحديث تنظيمات صناعية اخرى تباينت فيما بينها سواء من حيث بنائها او وظائفها او من حيث صلتها بمختلف التنظيمات التي تقوم بالمجتمع.

عرفت البشرية أربعة نظم إنتاجية:

١. نظام الصناعة العائلية.
٢. نظام الطوائف الحرفية.
٣. نظام الوسطاء.
٤. نظام المصنع الحديث.

أولا – نظام الصناعة العائلية

الصناعة حرفة قديمة جداً، ولكنها ظلت عبر معظم عصور التاريخ قليلة الاهمية ، وعلى نطاق متواضع جد اً ، وقد بدأت في القرى ، حينما شعر الافراد انهم في حاجة الى بعض الصناعات الاولية كالغزل والنسيج و ادوات الزراعة والصيد والسكاكين و الاحذية فكانوا يقومون بصناعة ما يحتاجون اليه في منازلهم معتمدين على ادوات بدائية تدفعها قوة الانسان او قوة الحيوان.

كان الهدف الاساسي من الصناعة العائلية هو تحقيق مبدآ الكفاية الذاتية ، بمعنى ان الانتاج في تلك المرحلة كان يتم بقصد الاستهلاك المباشر ، او لمقايضته في سوق القرية ذاتها ، او في القرى المجاورة.

وبمرور الزمن تخصصت كل عائلة في صناعة معينة ، فظهرت عائلات يشتغل كل افرادها بالنجارة او الحدادة او صناعة الاحذية ، وكان أفراد العائلة جميع اً يشتركون في العمل تحت اشراف رب الاسرة الذي كان يمارس كافة السلطات ، ويتمتع بالطاعة والاحترام من جميع الاعضاء. وكان تقسيم العمل- اذا وجد -يتم وفق اً لاعتبارات بيولوجية فقط كعامل الجنس او السن ؛ فكل من الرجل والمرآة يقوم بالأعمال التي تتفق مع قواه الفيزيقية ، كذلك الحال بالنسبة للشيوخ والشباب والاطفال

في اوروبا عرف نظام الصناعة العائلية منذ العصور القديمة ، وظل سائد اً خلال العصور الوسطى ، اذ انه بعد قيام النظام الاقطاعي نشآ ما يعرف بنظام الضيعة المغلقة ، فكان كل ضيعة تنتج كل ما يلزم لبقائها من مزروعات ومصنوعات

ثانيا -نظام الطوائف الحرفية

بدأت الطوائف الحرفية في الظهور في اوروبا خلال القرنين التاسع والعاشر ، وبلغت اوجها في القرن الثالث عشر , واستمر بعضها قائم اً حتى القرن التاسع عشر.

الطائفة الحرفية: هي جمعية تضم العاملين في حرفة معينة .وقد كان لها دور بارز في أوروبا تاريخيا

ارتبط ظهورها بانتعاش المدن القديمة ، ونشآة المدن الجديدة التي توافد عليها كثير من التجار والحرفيين الهاربين من ضياع الأشراف وقد اشتغل هؤلاء بالتجارة والصناعة ، وأصبحوا يزودون سكان المناطق الريفية بما يحتاجون اليه من مصنوعات ، ويحصلون منهم على المنتجات الغذائية والمواد الاولية اللازمة للصناعة.

وحينما اشتد ظلم الاقطاعيين التمس الناس الحماية منهم في تكوين الجماعات والانتماء اليها ، ولم تكن الطوائف الا واحدة من بينها التمس الحرفيون في تكوينها الحماية وتنظيم الصناعة

يضاف الى ذلك ان الطائفة وفق اً لتركيبها الداخلي تعمل لصالح جميع الفئات التي تشتمل عليها على حين ان النقابة - وبخاصة في المجتمعات الرأسمالية- ترعى مصالح العمال وحدهم ، وتدافع عن قضاياهم ، وتقف مع اصحاب العمل موقف اً معارض اً لوجود تناقضات اساسية بين اصحاب العمل والعمال

يتركب البناء الاجتماعي الداخلي للطائفة من ثلاث انواع من الأعضاء

- المعلمون
- الصناع
- الصبيان

المعلمون

هم الذين يديرون ويتحكمون في نظام الطائفة غير ان علاقتهم بعملية الانتاج تختلف الى حد كبير عن علاقة المدير او صاحب المشروع بعملية الانتاج في شكلها الحديث.

يضاف الى ذلك ان المعلم كان يعمل مع الصناع جنب اً الى جنب وكان يفترض فيه ان يكون اكثرهم مهارة ، و اوفرهم خبرة ، و اعظمهم دراية بآصول الحرفة.

أمّا الصبيّ

فكان يدخل في خدمة المعلم ، وهو فتى صغير ، ويلتزم بقضاء فترة تدريبية - التي تتراوح في المعتاد بين ثلاث سنوات وسبع - لدى المعلم ، الى ان يصبح صانع اً ماهر اً

وكانت العلاقة بين المعلم والصبي تتضمن حقوق اً وواجبات من كلا الطرفين فالمعلم كان يلتزم بتلقين الصبي اصول الحرفة حتى يتمكن في مستقبل حياته من ان يصبح صانع اً او معلم اً صاحب ورشة ، كما كان مسؤلا عن ايوائه وتربيته وتلقينه اداب السلوك مثلما يفعل الاب مع ابنائه تما ماً

وكان الصبي من ناحيته يلتزم بجملة واجبات اهمها طاعة المعلم ، وضبط النفس ، والاخلاص ، والامانة ، واتباع السلوك القويم ؛ وكان في كثير من الاحيان لا يقدم على امر هام يخصه كالزواج الا بعد الحصول على موافقة معلمه ، وهكذا كانت العلاقة بين المعلم والصبيّ علاقة شخصية وثيقة. وحينما تنتهي فترة التدريب . يصبح الصبي عاملا باليومية

ومن الناحية الوظيفية ، كانت الطائفة تقوم بكثير من الاختصاصات والمهام ، نذكر أهمها ما يلي:

١. تحديد عدد الأفراد الذين يستطيعون ان يزاولوا مهنة معينة والذين يكون لهم بالتالي حق فتح ورشة في المدينة ، كما كانت تحدد عدد المعلمين والصناع والصبيان الذين يمكن استخدامهم.
٢. تنظيم علاقات العمل بين المعلمين والصناع و الصبيان وبين المنازعات التي تنشأ بينهم , وكان ذلك يتم عن طريق مجلس الطائفية الذي يتكون من – الناحية النظرية – من جميع افراد الطائفة.
٣. تحديد أجور العاملين من أبناء الطائفة.
٤. تحديد كمية السلع التي يمكن إنتاجها.

٥. تحديد ما يعرض من السلع التي يمكن إنتاجها.
٦. تحديد أسعار المنتجات.
٧. تحديد الأرباح التي يحصل عليها المعلمون

وقد كان لكل طائفة اختصاصها الذي يجب أن يلتزم به جميع الأعضاء.

وقد كانت الطوائف في بداية أمرها مفتوحة لجميع الأفراد بحيث كان من اليسير على الصناع أن يرتقوا في السلم الحرفي , ويصبحوا معلمين اصحاب محال أو ورش , غير أنه بمرور الوقت أصبحت الطوائف مغلقة , و أصبحت مرتبة المعلم قاصرة على أبناء المعلمين وحدهم

وتشير الدراسة التحليلية للعلاقات الاجتماعية في محيط العمل إلى أن التخصص وتقسيم العمل بالمفهوم الحديث لم يكن معروفًا في نظام الطوائف حيث كان الصانع يقوم بالعملية الإنتاجية بأكملها

ثالثًا :نظام الوسطاء:

ترتب على زيادة نفوذ الشجار أن ظهر نظام إنتاجي جديد عرف بنظام الوسطاء , وقد أطلقت عليه هذه التسمية , حيث كان التجار يتولون بأنفسهم شراء المواد الأولية اللازمة للصناعة , ويقومون بتوزيعها على الصناع في منازلهم , ثم يجمعونها منهم بعد الانتهاء من إنتاجها، ويتولون توزيعها على التجار الصغار المستهلكين.

وقد ظهرت البدايات الأولى لهذا النظام في القرن الثالث عشر في صناعة الصوف في بريطانيا , غير أنه بلغ ذروته فيما بين منتصف القرن الخامس ومنتصف القرن الثامن عشر , ويعني ذلك أنه قام إلى جانب كل من النظام الحرفي ونظام المصنع الحديث.

يرى مؤرخو التاريخ الاقتصادي أن نظام الوسطاء يرتبط في وجوده بطبقة الرأسمالية التجارية التي وجدت عوامل نشأتها في القرنين الخامس عشر والسادس عشر في **ثلاث ثورات حقيقية هي:**

١. الثورة التجارية..
٢. الثورة التي حدثت في ميدان الكشوف الجغرافية.
٣. الثورة السياسية.

حينما بدأ الأمن يستتب تدريجيًا , وبدأت طرق المواصلات تنتشر, حقق الشجار ثروات ضخمه غيرت من وضعهم الاقتصادي , ومن حالتهم الاجتماعية والنفسية , وساعد على هذا ظهور فلسفة التجاريين التي حررت الأفراد من عقلية القرون الوسطى , وأمدت المجتمع بطريقة تفكير جديدة تسمح بالبحث عن الثروة. ومهد هذا التغير لظهور طبقة الرأسماليين الذين يبحثون عن أكبر ربح ممكن

وقد ساعدت الكشوف الجغرافية التي حدثت في القرنين الخامس عشر والسادس عشر , وبخاصة كشف العالم الجديد على فتح أسواق خارجية اتجهت نحوها المنتجات الأوروبية , وكان من نتيجة ذلك أن ازداد النشاط التجاري. وأخذت الدول الكبرى تتنافس على استعمار المناطق الجديدة , فأدى ذلك كله إلى: تدفق سيل الذهب والفضة إلى البلاد المستعمره , واتساع الاسواق , وارتفاع الأسعار.

تشير الدراسة التحليلية لنظام الوسطاء إلى أن ثمة ظروفًا اجتماعية واقتصادية ساعدت على ازدهار ذلك النظام

أن ذلك النظام كان يتفق ورغبات العمال في التحرر من القيود التي يفرضها عليهم أصحاب رءوس الأموال , كما أنه يهيئ لزوجات العمال و أولادهم فرصة الاشتراك في العمل الصناعي وبذلك يدعم الوضع الاقتصادي للأسرة.

وترتفع مستويات الدخول الفردية مع الحرص على التقاليد الاسرية التي كانت سائدة في تلك الفترة. فهو يسهل للمرأة الانتظام في العمل دون الخروج إلى الاسواق البعيدة وبذلك يمكنها أن تجمع بين وظيفتها الاجتماعية التقليدية وهي رعاية الأسرة وبين الوظيفة الاجتماعية المستحدثة وتوفق بينهما..

قد حاول الوسطاء أن يحكموا سيطرتهم على الصناع, فاتجهوا إلى إغراقهم بالديون حتى يظلوا خاضعين لهم, ومضطرين إلى تقديم ما يطلب منهم في الوقت الذي يعينه الممول , و بالأجر الذي يحدده.

وبعد أن كان الصانع مالكًا لأدوات الإنتاج في ظل النظام الحرفي القديم وجد نفسه في ظل النظام الجديد مضطرًا– في بعض الأحيان -إلى استئجار الأدوات من التاجر نفسه, وبهذه الطريقة فقد الصانع حريته واستقلاله وتحول إلى مجرد عامل أجير.

أوجد النظام الجديد طبقتين اجتماعيتين ترتبطان معًا بروابط رسمية لها طابع نفعى بحت . فالتجار لا يعنيهم أن تقوم بينهم وبين المشتغلين لحسابهم روابط شخصية أو علاقات اوليه, وإنما يهمهم أن يقوم هؤلاء بالإنتاج في أقصر وقت بأقل أجر.

وهكذا تحولت العلاقة العائلية التي كانت تسود النظام الحرفي إلى علاقة عقدية ذات طابع رسمي.

وبمرور الوقت وجد الممولون أن نظام الإنتاج بصورته القائمة يضيع عليهم فرصًا كثيرة للكسب بعد أن اتسعت السوق التجارية.

ولذا فكروا الممولون في نظام جديد يجمع العمال تحت سقف واحد ويجعلهم خاضعين لإشرافهم المباشر , فاتجهوا إلى انشاء المصانع الصغيرة , وجمعوا فيها العمال وأمدوهم بكل عناصر الإنتاج.

وتعتبر الصناعة اليدوية الشكل الأعلى للإنتاج الصناعي في أوربا وفي منتصف القرن السادس عشر حتى الثلث الأخير من القرن الثامن عشر وهي تمثل مرحلة انتقالية بين الإنتاج الحرفي والصناعة الآلية الكبيرة.

ترتب على قيام الصناعة اليدوية أن أصبحت أدوات الإنتاج ملكًا لصاحب العمل , كما أصبح في نفس الوقت مالكًا للسلع المصنوعة التي ينتجها مجموعة من العمال بعد أن كان ينتجها عامل واحد أيام الصناعة الحرفية,

أدى **تقسيم العمل** داخل المصنع اليدوي إلى أن أصبح تدريب العامل الجزئي أسهل من تدريب العامل الكامل و أسرع منه, فانخفضت الأجور التي يحصل عليها العمال الجزئيون عما كان يحصل عليه الصانع الكامل من قبل.

أدى تقسيم العمل بما خلقه من عمليات لا تحتاج إلى تدريب كبير إلى أدخال قوى جديدة للعمل في الإنتاج مما سمح بتشغيل الأطفال في بعض الأعمال.

يضاف إلى ذلك أن تقسيم العمل بالصورة الجديدة أدى إلى فصل العمليات العقلية عن العمليات اليدوية.

وبذلك أخذت الصناعة اليدوية تصيب العامل بالعجز. فعد أن كانت صانع الحرفة اليدوية تنمو لديه الخبرة بأمور العمل وبشؤون الإدارة أصبحت هذه الأمور من اختصاص أفراد آخرين .أمكن بهذا الفصل خلق تعارض بين القائمين بالعمل اليدوي والعمل الفكري

الصناعة اليدوية تشوه العامل وتخلق منه كائنًا شاذًا , وذلك بتنشيط النمو الزائف لمهارته في العمليات التفصيلية , والتضحية بعالم واسع من الاستعدادات الطبيعية والدوافع الإنتاجية وفي الأصل يبيع العامل قوة عمله للرأسمالي لافتقاره لوسائل الانتاج المادية حتة صارت قوة عمله الآن لا تقوم بأي عمل جدّي إذا لم تبع.

إن التقسيم في الصناعة اليدوية يواجه العمال بالقوى الذهنية في الإنتاج كملكية للآخرين , وكسلطة تسيطر عليهم.

إن هذا الانقسام يصل إلى قمته في الصناعة الكبيرة التي تخلق من العلم قوى إنتاجية مستقلة عن العمل وتوظفها لخدمة رأس المال

وقد استمر نظام المصانع اليدوية قائمًا حتى حدثت الثورة الصناعية الأولى في الثلث الأخير من القرن الثمان عشر , والتي بدأت في إنجلترا , ثم انتشرت منها إلى بقية البلدان الأوربية وبقية أنحاء العالم , والتي ترتب عليها استخدام الآلة في الإنتاج على نطاق واسع.